

الأمثل في تفسير كتاب الإن المنزل

[442] إلى جواب من طرف آخر، بل إنَّ للسائل والمجيب رأياً واحداً، لأنَّ المشركين يعتقدون بأنَّ الإن هو الخالق والرازق، والأصنام لها مقام الشفاعة فقط. من الجدير بالملاحظة - أيضاً - أنَّ الأرزاق التي تصل إلى الناس من السماء ليست محصورة بالغيث، بل إنَّ النور والحرارة الصادرة عن الشمس، والهواء الموجود في جوَّ الأرض، هي الأخرى لا تقلُّ أهميَّة عن قطرات المطر. كما أنَّ بركات الأرض كذلك، ليست محصورة في النباتات، بل إنَّ المنابع المائية تحت سطح الأرض، والمعادن المختلفة التي كانت معروفة في ذلك الوقت والتي عرفت بعد مرور الزمان تندرج تحت هذا العنوان أيضاً. آخر الآية تشير إلى موضوع يمكنه أن يكون أساساً لدليل واقعي ومتوأم مع غاية الأدب والإنصاف، بطريقة تستنزل الطرف المقابل من مركب الغرور والعناد الذي يمتطيه، وتدفعه إلى التفكُّر والتأمُّل، يقول تعالى: (وَإِنَّمَا أَوْفَّقَكُم لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (1). وهذا إشارة إلى: أنَّ عقيدتنا وعقيدتكم متضادَّتان، وعليه - بناءً على إستحالة الجمع بين النقيضين - فلا يمكن أن تكون الدعوتان على حقٍّ، لذا فمن المحتَّم أن يكون أحد الفريقين أهل هدى، والثَّاني أسير الضلال. والآن عليكم أن تفكِّروا في أيِّ الفئتين على هدىٍّ، وأيَّهما على ضلال؟ .. انظروا إلى علامات وخصائص كلٍّ منهما، ومدى تطابقها مع علامات الهدى والضلال. وهذا أحد أفضل أساليب المناظرة والبحث، بأن يضع الطرف الآخر في حالة من التفكُّر والتفاعل، وما يتوهَّمه البعض أنَّ ذلك نوع من التقيَّة فهو منتهى الإشتباه. الملفت للنظر هو ذكر "على" من "الهدى" و "في" مع "الضلال"، إشارة إلى أنَّ _____ 1 - هذه الجملة تقديراً تعود إلى جملتين كما يلي "وَإِنَّمَا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" أو في ضلال مبین، وَإِنَّمَا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" أو في ضلال مبین" (مجمع البيان، مجلد 7، ص 388).